المحاضرة الأولى: مدخل على نظريّة الأدب

1. مفهوم نظرية الأدب (Théorie de la littérature):

يُعرّف بعض الباحثين النظرية الأدبية على أنّها الدراسة العلميّة للأدب باعتباره ظاهرة ثقافيّة، وهو مجال يربط في دراسته بين علم اللّغة وعلم الجمال.

يُعرّفها **رينيه ويليك وأوستن وارين** بقولهما: "نضع في باب نظرية الأدب دراسة مبادئ الأدب، مقولاته، معاييره وما أشبه ذلك"[1]، فحسبهما يقع مجال نظرية الأدب في البحث عن المبادئ العامة التي يُبنى عليها الأدب والمقولات التي تحكمه وكذا معايير تشكله.

ويُعرّف **شكري عزيز الماضي** نظرية الأدب بقوله: "هي مجموعة من الآراء والأفكار القوية والمتسقة والعميقة والمترابطة والمستندة إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محددة، والتي تهتم بالبحث في نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته. وهي تدرس الظاهرة الأدبية بعامة من هذه الزوايا في سبيل استنباط وتأصيل مفاهيم عامة تبيّن حقيقة الأدب وآثاره"[2].

حدّد **شكري عزيز الماضي** مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في نظرية الأدب وهي:

01. القوّة:
02. الاتساق:
03. العمق:
04. الترابط:
05. الاستناد إلى نظرية في المعرفة أو فلسفة محددة:

---

[1]. رينيه ويليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، ط02، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص40.

[2]. شكري عزيز الماضي، في نظريّة الأدب، ط01، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص12.

وإذا أردنا تعريف نظرية الأدب بعبارة أكثر إيجازاً فهي: المبحث الذي يُعنى بدراسة نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته، وهو التعريف الذي يقوم على أساس الأسئلة التي تطرحها نظرية الأدب.

يُعرّفها **محمّد العمري** بقول: "تدخل نظرية الأدب في إطار تأمل الذات ومساءلة الهويّة، وهذه العمليّة تمارسها المباحث العلميّة عند تحقيق قدر من النضج نتيجة تراكم وصفي وتأويلي لمختلف مظاهر تجلي الظاهرة. ومجالها البحث في طبيعة الموضوع وتخومه وآليات انشغاله"[3]، يربط **العمري** نظرية الأدب التأمل والنظر العميق في الظاهرة للوصول إلى جوهر الظاهرة موضوع الدرس.

ويُعرفها **صلاح فضل** بقوله: "نظرية الأدب هذه تطرح أسئلة جوهريّة، وتحاول إقامة بناء متكامل للإجابة عن التساؤلات. وأهم هذه الأسئلة هو، ما الأدب؟ أي التساؤل عن طبيعة الأعمال الأدبيّة وعناصرها وأجناسها، وقوانينها، والسؤال الثاني يرتبط بعلاقة الأدب بالمجتمع والحياة والمبدع والمتلقي، أي علاقة المدوّنة الأدبيّة وما يرتبط بها وما يخرج عنها"[4]، يربط **صلاح فضل** بأهم سؤال فيها -حسبه- وهو ما الأدب أيّ السؤال عمّا يجعل الأدب أدبًا، وهو سؤال عن هويّة الأدب، كما يربطها بسؤال آخر هو علاقة الأدب بالعناصر الخارجية التي تواكب عمليتي إبداعه وتلقيه.

تفرض نظرية الأدب نفسها باعتبارها حقلا معرفيا مركزيا في مجال الدراسات الأدبية، فـ"بدون نظرية من نوع ما، مهما كانت ضمنية وغير تأملية، لن نعرف ما هو العمل الأدبي بالدرجة الأولى، ولا كيف نقرأه"[5]، فالنظرية الأدبية هي التي توفر لنا الأطر التي نحدد من خلالها الأدب عن غير الأدب، وهي التي تمدنا بالأدوات التي نقرؤه بها وتُسهل علينا التعامل معه.

---

[3]. محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، ط02، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005، ص03.

[4]. صلاح فضل، مناهج النقد والعلوم المعاصر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص11.

[5]. تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، تر: أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1991، ص11.

من خلال تتبع مختلف التعريفات التي حاولت الإحاطة بنظرية الأدب نلاحظ أنّ هذه الأخيرة تطرح ثلاثة أسئلة رئيسية هي:

1. ما الأدب؟ وما هي طبيعته؟
2. كيف ينشأ الأدب؟ وما هي دوافعه؟
3. ما هي وظيفته الأدب؟ وما الغاية منه؟

تبحث نظرية الأدب في القواعد والقوانين العامة التي تحكم الظاهرة الأدبية؛ فمنظر الأدب لا يدرس نصا أدبيا واحدا إنّما مجموعة من النصوص التي تنتمي إلى جنس واحد وتشترك في العناصر البنائية، للخلوص إلى القواعد والقوانين المشتركة التي تحكمها.

يخلط كثير من الباحثين بين النقد ونظرية الأدب رغم أنّ الفرق بينهما كبير؛ فنظرية الأدب تبحث في العام والمشترك بينما يبحث النقد في الخاص والمتفرد؛ فنظرية الأدب تبحث في العناصر المشتركة التي تجمع جنسا أدبيا ما بينما يبحث النقد عمّا يميّز إبداعاً ما داخل ذلك الجنس الأدبي، فالمُنظر حين يدرس الشعر مثلا يبحث عن العناصر العامة المشتركة التي تميّزه عن باقي الأجناس الأدبية (صور، إيحاء، إيقاع...)، بينما الناقد يدرس قصيدة بعينها ويبحث عن العناصر الجمالية والبنيوية التي جعلت تلك القصيدة متميّزة ومتفرّدة عن باقي الشعر.